خطبة صلاة الجمعة التي أقيمت في شهر رمضان المبارك

المناسبة: خطبة صلاة الجمعة

الزمان والمكان: 21/رمضان/ 1425هـ ــ طهران

الحضور: جموع المصلين

الخطبة الأولى

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربّ العالمين، نحمده ونستعينه ونستهديه، ونؤمن به ونستغفره ونتوكل عليه, ونصلّي ونسلّم على حبيبه ونجيبه وخيرته في خلقه وحافظ سرّه ومبلّغ رسالته، سيدنا ونبينا أبي القاسم المصطفى محمد وعلى آله الأطيبين الأمجدين الأئمة الهداة المهديين، سيّما بقية الله في الأرضين وصلّ على أئمة المسلمين وحماة المستضعفين وهداة المؤمنين.

أوصيكم جميعاً أيها المصلّون ونفسي بتقوى الله، وأوصيكم باغتنام أجواء الصيام في شهر رمضان بتنقية أنفسكم، فلعلّ قلوبنا تميل إلى التقوى ونكون من المتقين حقّاً.

اليوم هو الحادي والعشرون من رمضان، وهو على رواية من أيام القدر، وهو اليوم الذي استشهد فيه أمير المؤمنين عليه الصلاة والسلام, كانت الليلة الماضية من الليالي الثلاث التي تعدّ واحدة منها من أفضل ليالي السنة، وهي ليلة القدر التي تتنزّل الملائكة والروح فيها، طوبى لمن أمكنه أن يكون ملكاً بنزول ملائكة الله، فإن نزول الملائكة وحضورهم بين الناس ــ حيث قال تعالى: ﴿تنزل الملائكة والروح فيها بإذن ربهم من كل أمر﴾ (1) ــ يساعد على دنوّنا من خُلق الملائكة.

لابدّ أن يكون هناك من عباد الله من أمكنه أن يدرك حقائق ليلة القدر، وربما كان هناك منهم من شاهد الملائكة عياناً، وإن شاء الله سيكون بإمكانكم حيثما كنتم أن تدركوا هذه الحقائق في إحدى هذه الليالي، وهي الليلة التاسعة عشرة وقد تقدّمت، والحادية والعشرون والثالثة والعشرون القادمتان، حيث نشاهد سعياً حثيثاً من قِبَل شعبنا شباباً ونساءً ورجالاً، إلى تطهير أنفسهم في هذه الليالي، حيث تلين القلوب، وتدمع العيون، وتعتري الروح خفّةٌ، ويدخل الصيام كعامل مساعد.

فعلينا أن نتذرّع بالأمل وندعو ونجدّ في الاستفادة من هذه الليالي في عروجنا معنوياً؛ لأن الصلاة معراج المؤمن، وهكذا الدعاء، وهكذا ليلة القدر، لنعرج ونخلّق ونحطّم السلاسل المادية التي تقيّد كثيراً من الناس في كافة أنحاء العالم، فاسعوا ما أمكنكم إلى الابتعاد عن زبارج الدنيا.

---

(1) القدر: 4.

إنّ أنواع التعلّقات والخلق السيّئ وأنواع العداوات والأطماع والفساد والفحشاء والظلم، إنما هي أدران روحية، فعلينا أن نغتنم هذه الليالي في تطهير أنفسنا منها.

الأسس والقيم الإسلامية ومكانتها عند أمير المؤمنين(عليه السلام)

وأما فيما يتعلق بشهيد هذا اليوم، فإن استشهاده ليس مأتماً ومصيبة حدثت في زمن، وعلينا حالياً أن نتذكرها ونذرف الدموع على صاحبها، بل إنها مصيبة خالدة مع الأيام، فهي مصيبة عبّر عنها جبرئيل بقوله: ((تهدّمت والله أركان الهدى))(2).

إنّ استشهاد أمير المؤمنين يعدّ خسارة للإنسانية على مرّ العصور, وقد ذكرت فاطمة الزهراء سلام الله عليها لنساء المدينة قبل ذلك بخمسٍ وعشرين سنة وهي على فراش المرض: إنهم لو ولّوا علياً عليه السلام (لسار بهم سيراً سُجُحاً)، والسُجُح: هي الطريق السهلة, أي أنه يحملهم على المحجّة, (لا يكلمُ خُشاشة) أي أنه ــ بتعبيري ــ لا يسمح لاقتدار الدولة والنزعة السلطوية أن تحدث جرحاً في جسد المجتمع الإسلامي، وتعمل على سعادة الناس مادياً ومعنوياً، ((ولا يكلّ سائره، ولا يُملّ راكبه، ولأوردهم منهلاً عذباً صافياً رويّاً))(3).

ولم يولّوها علياً إلاّ بعد ذلك بخمسٍ وعشرين سنة، فتصدّى أمير المؤمنين (عليه السلام) وتمكن خلال مدة حكمه ــ من شهر ذي الحجة عام (35) إلى شهر رمضان من عام (40)، والتي استغرقت أربع سنوات وتسعة أشهر أو عشرة أشهر ــ من إنجازات عظيمة، ولولا سيف الغدر والخيانة الذي حملته اليد الأثيمة لابن ملجم ومن ورائه المخططون لهذه الجريمة، لاستمر الإمام في إنجازاته ولسدد مسيرة العالم الإسلامي، ومن هنا فإن المصيبة التي حدثت في ذلك اليوم إنما طالت العالم الإسلامي وتاريخ الإسلام، ولذلك كانت هذه المصيبة مصيبة خالدة مع الأيام.

إنّ الإنجاز العظيم الذي قام به أمير المؤمنين في تلك المدة، يمكن تلخيصه في جملة واحدة، وسأقوم بإيضاحها باختصار.

إنّ أمير المؤمنين قد أثبت في تلك المدة أنّ القيم والأسس الإسلامية التي تكوّنت في حقبة كان الإسلام فيها غريباً، وكان المجتمع الإسلامي صغيراً، يمكن تطبيقها في مرحلة الرخاء واتّساع رقعة العالم الإسلامي واقتداره وتقدمه المادي.

إنّ أسس الإسلام عبارة عن العدل وتكريم الإنسان والجهاد والإعمار والمباني الأخلاقية وقيمها، وقد نزل بها الوحي على رسول الله (صلى الله عليه وآل وسلم)، وقام النبي (صلى الله عليه وآل وسلم) بتطبيقها على المجتمع الإسلامي بحدود الإمكان، ولم يكن المجتمع الإسلامي خلال السنوات العشر التي حكم فيها النبي سوى مدينة صغيرة تضمّ بضعة آلاف، ثم تمّ فتح مكّة والطائف، فكانت منطقة محدودة ذات

---

(2) بحار الأنوار, ج: 42, ص: 282.

(3) أمالي الشيخ الطوسي, ص: 374.

ثروات محدودة، وكان الفقر شاملاً والإمكانات ضئيلة جدّاً، فقام بإرساء القيم الإسلامية في مثل هذه الأجواء.
ثم مضى على وفات النبي (صلى الله عليه وآل وسلم) خمسٌ وعشرون سنة، اتّسعت خلالها رقعة البلاد الإسلامية مئات الأضعاف، فكانت حدود العالم الإسلامي يوم استخلف أمير المؤمنين (عليه السلام) تمتدّ من آسيا الوسطى إلى الشمال الأفريقي ــ أي مصر ــ حيث تمّت الإطاحة بإحدى الدولتين العظمتين المجاورتين للعالم الإسلامي، وهي إيران بشكل كامل، وتمّ الاستيلاء على أجزاء كبيرة من الإمبراطورية الرومية وتمّ الاستيلاء على الشامات وفلسطين والموصل وغيرها، فتوفّرت لذلك أموال طائلة، فزال الفقر ولم تعد هناك شحّة في الأطعمة، وانتشر الذهب، وازدادت النقود، وظهرت ثروات عظيمة، وأصبح العالم الإسلامي ثريّاً، وتمتع بعض المسلمين بثراء فاحش.
ولو أننا تجاوزنا الإمام علياً (عليه السلام)، لأمكن للتاريخ أن يقول: إنّ أسس الإسلام والقيم النبوية كانت جيدة، إلاّ أنه لا يمكن تطبيقها إلاّ على مجتمع صغير فقير، ولذلك فإن العالم الإسلامي سرعان ما اتّسعت رقعته واختلط بسائر الحضارات والثقافات من الفارسية والرومية، حتى لم تعد تلك الأسس والقيم مُجدية في إدارة البلاد، إلاّ أنّ أمير المؤمنين (عليه السلام) أثبت في هذه السنوات الخمس من حكومته من خلال سيرته وأسلوبه وسياسته أنّ بالإمكان تطبيق تلك الأصول النبوية الساطعة من التوحيد والعدل والمساواة بين الناس، على يد وال مقتدر مثل أمير المؤمنين (عليه السلام).
وقد أثبت التاريخ ذلك، فإن مدة حكم الإمام (عليه السلام) وإن كانت قصيرة إلاّ أنها كافية في أثبات أنّ الحاكم الإسلامي وغيره من المسؤولين في الدولة كانوا ملتزمين ووطّنوا النفس وعقدوا العزم على تطبيق مبادئ الإسلام في مختلف الظروف، والقيام على خدمة الناس بواسطتها.
وهذه هي مسألتنا الراهنة أيضاً، إذ يتصوّر البعض أنّ شعارات الثورة من العدالة والجهاد والدين والاستقلال والاكتفاء الذاتي، وهي الشعارات التي شجّعت الشعب على الثورة والإطاحة بالنظام الطاغوتي، ودافع عنها ثماني سنوات في الحرب المفروضة، قد أصبحت قديمة ولم يعد تطبيقها ممكناً في حين أنّ هذا خطأ واضح، ربما نحن الذين اعترانا القدم والخور والضعف إلاّ أنّ تلك الأصول لا تزال باقية على قوّتها، ولو أننا دخلنا الساحة بإيمان وتدبير كافٍ مصحوب بالرغبة والأمل وعدم التراجع أمام أساليب الأعداء، لتجلّت تلك الأصول بشكل أوضح.

العدالة في حكم أمير المؤمنين(عليه السلام)
سأستعرض هنا بعض السياسات التي انعكست في كلماته (عليه السلام).
أصرّ الناس بعد مقتل عثمان أن يقوم علي (عليه السلام) بالأمر، وكان الإمام يرفض ذلك، إلاّ أنّ إصرار الناس تفاقم وقال كبار الصحابة وشيوخ القوم: لا يكون لها إلاّ

علي بن أبي طالب، فقال الإمام (عليه السلام): إذاً فإلى المسجد، ثم صعد المنبر وخطب في الناس قائلاً: ((إلاّ إن كل قطيعة أقطعها عثمان، وكل ما أعطاه من مال الله فهو مردود إلى بيت المال، فإن الحق القديم لا يبطله شيء، والله لو وجدته قد تزوّج به النساء، وملك به الإماء لرددته، فإن في العدل سعة، ومن ضاق عليه العدل فالجور عليه أضيق))[4].

ثم بدأت الاعتراضات تظهر ــ طبعاً إنّ المستضعفين والطبقة المحرومة في المجتمع كانت تائقة إلى تنفيذ هذه السياسة، ولكن المتنفّذين وأصحاب الوجاهات الذين قصدهم الإمام بكلامه المتقدم، لم يرُق لهم الأمر بداهةً ــ فاجتمعوا وانتقدوا تصريحات الإمام، وأرسلوا من قِبَلهم الوليد بن عقبة الذي كان والياً لعثمان على الكوفة، فقال للإمام (عليه السلام): (نبايعك اليوم على أن تضع عنا ما أصبناه من المال في أيام عثمان) (5).

ثم دخل عليه طلحة والزبير، وطبعاً هناك فرق بين طلحة والزبير وبين الوليد بن عقبة, فإن إسلام الوليد كان متأخراً، وكان هو وأسرته مناوئاً للإسلام ومحارباً، حتى أسلم بعد غلبة الإسلام في أُواخر حياة النبي (صلى الله عليه وآل وسلم) كسائر بني أمية، في حين أنّ طلحة والزبير كانا من السابقين ومن المقرّبين من أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وآل وسلم)، فجاءا إلى أمير المؤمنين (عليه السلام) معاتبان وكان من جملة ما قالاه: (إنك جعلت حقنا في القسم كحق غيرنا، وسويت بيننا وبين من لا يماثلنا فيما أفاء الله تعالى بأسيافنا ورماحنا).

ولم يذكر التاريخ جواب أمير المؤمنين (عليه السلام) للوليد بن عقبة، وأما بالنسبة إلى ما قاله طلحة والزبير، فقد صعد الإمام (عليه السلام) المنبر وقال: ((وأما ما ذكرتما من أمر الأسوة، فإن ذلك أمر لم أحكم فيه بادئ بدءٍ، ولا ولّيته هوىً منيّ، بل وجدت أنا وأنتما رسول الله (صلى الله عليه وآل وسلم) يحكم بذلك))(6).

فقام الإمام بتطبيق سياسة النبي (صلى الله عليه وآل وسلم) بحذافيرها، ودفع ثمن ذلك بوقوع ثلاثة حروب عليه في مدة حكمه، بديهي أنّ الإمام كان يرى الخلافة حقّاً له وقد زوي عنها، إلاّ أنه كان يختار السكوت فيما يراه حقّاً له، فصبر طوال خمس وعشرين سنة عن ذلك الحق، وردّ الذين حاولوا إثارته، بكلمات من قبيل: ((إنك لقَلِق الوضين ترسل في غير سداد) و (دع عنك نهباً صيح في حجراته))(7)، في حين أنه في مسألة أخرى قد تبدو أقل شأناً من أمر الخلافة، وهي مسألة العدالة الاجتماعية وإحياء الأصول النبوية، تحمّل ثلاثة حروب هي: حرب الجمل وصفين والنهروان,

---

[4] نهج البلاغة، ص67، الخطبة: 15، شرح الشيخ محمد عبده.

(5) بحار الأنوار, ج:32, ص:19.

(6) نهج البلاغة، الخطبة: 205, من كلام له(عليه السلام) كلّم به طلحة والزبير بعد بيعته بالخلافة.

(7) نهج البلاغة، الخطبة: 162.

فانظروا إلى ما لهذه المسائل من الأهمية في نظر الإمام (عليه السلام)، وهذا هو الانجاز العظيم لأمير المؤمنين (عليه السلام).
ولأمير المؤمنين في هذا المجال كلمة أخرى حيث يقول: ((لا تمنعنكم رعاية الحق لأحد عن إقامة الحق عليه))(8)، أي لو كان الشخص مؤمناً ومجاهداً في سبيل الله، ووجبت رعاية حقّه عليك، ثم اخطأ وأضاع حقّاً لم يجز لك في مقام المسؤولية أن تجعل من ذلك الحق الذي وجب عليك حائلاً دون إنزال العقوبة عليه فيما أخطأ، هذا هو منطق أمير المؤمنين (عليه السلام).
ويروى في هذا الشأن أنّ شاعراً اسمه النجاشي كان من أصحاب الإمام (عليه السلام) وقد مدحه في قصائد كثيرة، وأنشد في حرب صفين أفضل القصائد في التحريض على قتال معاوية، وكان مشهوراً في حبّه وإخلاصه لأمير المؤمنين (عليه السلام)، إلاّ أنه شرب الخمر في نهار رمضان، فبلغ ذلك أمير المؤمنين فأقام عليه الحد أمام الناس، فأقبلت أسرته وقبيلته إلى الإمام وقالت له: إنك بعملك هذا قد أهدرت كرامتنا، فأجاب الإمام: لم أقم إلاّ بما أمر الله به، فهل هو إلاّ رجل من المسلمين انتهك حرمة من حرم الله، فأقمنا عليه حدّاً كان كفارته.
ثم إنّ النجاشي بعد إقامة الحد عليه التحق بمعاوية، ولم يتأثّر الإمام أو يستوحش من ذهابه، إلاّ أنه لو لم يذهب لكان خيراً له، هذا منطق أمير المؤمنين وسياسته.
وفي واقعة أخرى وجب الحد على رجل من بني أسد ــ الذين كانت لهم قرابة مع الإمام (عليه السلام) ــ فاجتمع قومه وقرروا الذهاب إلى علي (عليه السلام) لثنوه عن إقامة الحد، فذهبوا أول الأمر إلى الإمام الحسن (عليه السلام) ليشفع له عند الإمام، فأجابهم الإمام الحسن أنّ بإمكانكم الذهاب إلى أمير المؤمنين بأنفسكم لمكان القرابة، فذهبوا وعرضوا الأمر عليه، فأجابهم الإمام (عليه السلام) بأنه سيقوم بكل ما هو من حقّه، فاستبشروا خيراً وخرجوا من عنده، فلقيهم الإمام الحسن (عليه السلام) وسألهم عما كان من شأنهم، فأجابوه بأن الإمام علي (عليه السلام) وعدهم خيراً، فقال الحسن (عليه السلام) وما كان جوابه؟ فقالوا: لقد قال إنه سيقوم بكل ما هو من حقه، فابتسم الإمام الحسن(عليه السلام) وقال: اعدّوا صاحبكم لإقامة الحدّ، ثم حدّه الإمام.
ولما عاتبه قومه على ذلك، أجابهم (عليه السلام) بأن الحد حكم إلهي وليس من حق العبد أن يعطّله، هذا وقد كان بنو أسد من خلّص أصحاب أمير المؤمنين (عليه السلام).
كما نقل التاريخ أموراً كثيرة عن مأكله وملبسه، وعيشه مع أسرته، يقول الراوي: دخلت على الإمام الحسن والحسين (عليهما السلام) وكان طعامهما الخبز والخل وشيئاً من الخضر، فقلت لهما: أنتما أميران وابنا أمير المؤمنين وفي الرحبة[9]، فالتفتا إليّ وقالا: ما أغفلك عن أمير المؤمنين؟!

---

(8) عيون الحكم والمواعظ, لعلي بن محمد الليثي, ص: 529.

9 الرحبة سوق في الكوفة.

وقد سمعتم بأمر العقد الذي استعارته زينب الكبرى (عليها السلام) من أبي رافع، والحديدة التي أحماها لعقيل حينما سأله صاعاً من بُرّ، ورفضه لطلب عبد الله بن جعفر ابن أخيه وزوج ابنته لمَاّ شكا له فقره واضطراره إلى بيع حوائج بيته إن لم يقرضه شيئاً من بيت المال، فلم يستجب له (عليه السلام) وقال له: أتأمر عمّك بسرقة بيت مال المسلمين.

لقد حدّد الإمام أمير المؤمنين خصائص الحكم في مجتمع متقدم وواسع ومتحضّر وافر الثراء بما كانت عليه خصائص عصر النبوّة؛ ليثبت إمكان تطبيق تلك الأسس والأصول التي هي عبارة عن العدل والجهاد وبناء الناس وحسن التدبير بتنصيب المؤمنين الأكفاء في كل حال وفي جميع الظروف، وهذه هي الحقيقة.

ذكرت قبل عدة أيام في جمع من الأخوة أنّ الأصول الإسلامية لا تكمن في الثياب التي كان يرتديها أمير المؤمنين، حتى علينا أن نحاكيه فيها، بل إنّ الأصول الإسلامية عبارة عن العدالة والتوحيد والانتصاف للناس، وصيانة حقوقهم ورعاية الضعفاء، والوقوف بوجه أعداء الإسلام والدين، والإصرار على أسس الحق والإسلام والدفاع عن الحق والحقيقة، وبالإمكان تطبيق هذه الأصول في جميع العصور.

وطبعاً حينما نتحدّث حالياً بهذا الكلام، إنما نتحدّث في الحقيقة عن القمّة، فمن الذي يمكنه أن يتصوّر التشبّه بأمير المؤمنين (عليه السلام) فضلاً عن التشبّه به؟!

إنّ زين العابدين (عليه السلام) وهو حفيد أمير المؤمنين (عليه السلام) وكان معصوماً وقد عرف بهذا اللقب وعرف بالسجاد أيضاً؛ لكثرة سجوده وعبادته، وبرغم ذلك حينما سُئل عن كثرة عبادته، قال أين عبادتي من عبادة أمير المؤمنين؟ هذا والإمام السجاد أفضل عبّاد وزهّاد زمانه، فما ظنّك بنا ولا تقاس عبادتنا بعبادته إلاّ كما تقاس القطرة إلى البحر.

إذاً فأمير المؤمنين هو النموذج والقمة التي تحدد الجهة التي يتعيّن على الإنسان أن يتحرك نحوها ليبلغها على مقدار طاقته.

إنّ النظام الإسلامي هو نظام العدل والإنصاف ورعاية الناس واحترام حقوقهم والوقوف بوجه الظلم، وهي مشاكل البشرية عبر التاريخ، حيث تشاهدون القوى المتغطرسة كيف تدّعي الحاكمية على العالم، ويخضعون الشعوب لإرادتهم وينغّصون عليهم حياتهم، فكان الإسلام ومنطق أمير المؤمنين والحكومة العلوية يركّز على مقاومة ذلك، سواء في دائرة اجتماعية ضيّقة يحاول فيها ظالم هضم حق ضعيفٍ، أو على الصعيد العالمي والدولي.

أمير المؤمنين هو محور الوحدة بين المسلمين

أوّد في نهاية هذه الخطبة أن أضيف هذه المسألة، وهي أنه لا ينبغي اتخاذ شخصية الإمام علي(عليه السلام) كمصدرٍ للتفريق بين الشيعة والسنة وسائر الفرق الإسلامية،

بل على العكس من ذلك، فإن أمير المؤمنين نقطة التقاء لا افتراق، واتحاد وائتلاف لا شقاق.
ليكن الإخوة والأخوات في كافة أنحاء البلاد على اطمئنان من ذلك، فان معلوماتنا عن الحقائق الراهنة كثيرة جداً، وأرى الأيادي الخبيثة وراء تفريق الشيعة والسنة وإثارة النزاعات والنعرات بينهم عياناً، فيؤلف السنة كتباً ضد الشيعة، والشيعة ضد السنة، وحينما نتابع الجذور، نجد أنّ تمويل كلا النوعين من الكتب قد تمّ من الخارج ومن مصدر واحد.
إنّ أمير المؤمنين هو محور الوحدة، فليس هناك من المسلمين سنة وشيعة إلاّ ويجلّ أمير المؤمنين ويحترمه ويحبّه، سوى شرذمة قليلة من النواصب ظهرت في العهد الأموي والعباسي ثم انقرضت وأكل الدهر عليها وشرب، أما عامة المسلمين حتى في ذينك العهدين فلم يكنّوا لأمير المؤمنين سوى الاحترام، وأشعار الشافعي في حق الإمام علي (عليه السلام) وسائر الأئمة من أهل بيت النبوة خير دليل وشاهد على ذلك.
إنّ مقام هؤلاء الأئمة (عليهم السلام) واضح وصريح عندنا نحن الشيعة وحجتنا قوية، إلاّ أنّ هناك فئة تحاول إثارة الفتنة في العراق وسائر المناطق الأخرى في العالم الإسلامي وخصوصاً في إيران، ونحن نعرف مصدرها.
اليوم هو يوم استشهاد الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام)، وفي هذه المناسبة سأقرأ شيئاً من المصيبة، وأقول قبل كل شيءٍ: هنيئاً للمتواجدين حالياً في النجف ويمكنهم زيارة الإمام في مرقده: (السلام عليك يا أمير المؤمنين، السلام عليك يا إمام المتقين، السلام عليك يا سيد الوصيين)، بعد أن وقعت تلك الفاجعة الكبرى، سُمع هاتف غيبي يقول: (تهدّمت والله أركان الهدى).
كان أهل الكوفة ومن حولها ممن بلغهم الخبر في اضطراب دائم، حيث كان أمير المؤمنين محبوباً من قِبَل الصغير والكبير، وكان الاضطراب بادياً على بعض الأصحاب المقربّين من الإمام، وفي الليلة التي سبقت استشهاد أمير المؤمنين إزدحم الناس حول داره، يريدون عيادته إلاّ أنّ حالة الإمام الصحية كانت قد ساءت ولم يعد بالإمكان عيادته، فخرج الإمام الحسن (عليه السلام) ــ على ما ينقل ــ واعتذر إليهم وأمرهم بالانصراف، فتفرّقوا إلاّ الأصبغ بن نباتة لم تطاوعه نفسه بالانصراف، حتى خرج الإمام الحسن (عليه السلام) بعد هنيئة فإذا به يرى الأصبغ لا يزال واقفاً، فقال له (عليه السلام): أما سمعت ما قلته للناس؟ فقال: يا بن رسول الله لا طاقة لي على الانصراف، فأذن لي حتى أرى الإمام، فدخل الإمام الحسن (عليه السلام) ثم خرج وأذن له في الدخول.
يقول الأصبغ: فدخلت وإذا بالإمام أمير المؤمنين مسجّى على سرير المرض، وقد شُدَّ موضع جرحه بعصابة صفراء، فلم أستطع أن أُميِّز أيهما اشد صفرة، وجهه أم العصابة! وكان (عليه السلام) يغمى عليه حيناً، ويفيق حيناً آخر، وفي واحدة من

إفاقاته أخذ بيدي وحدّثني ــ وهذا هو معنى قول الهاتف ((تهدمت والله أركان الهدى)) حيث إنّ الإمام لم يترك هداية الناس حتى وهو في هذه الحالة فلم يضُنّ على الأصبغ بالحديث، فنقل له حديثاً مطولاً، ثم أُغمي عليه، ثم لم يره الأصبغ ولا غيره من أصحاب الإمام، حتى انتقل إلى جوار رحمة ربه في ليلة الحادي والعشرين وترك الدنيا والتاريخ متّشحين بثياب السواد.
أللهم نقسم عليك بمحمد وآل محمد إلاّ ما صليت وترحمت وتحننت على أمير المؤمنين (عليه السلام) وجعلتنا من أتباعه وشيعته الحقيقيين.
أللهم أحفظ أمة الإسلام والشعب الإيراني من شر الأشرار وأعداء الحقّ والحقيقة والعدالة، وانصر الشعب الإيراني في كافة الميادين، واحشر شهداءنا وإمامنا مع أمير المؤمنين (عليه السلام).

بسم الله الرحمن الرحيم
قل هو الله احد * الله الصمد * لم يلد ولم يولد * ولم يكن له كفؤاً أحد .

الخطبة الثانية

بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله ربّ العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا ونبينا أبي القاسم المصطفى محمد وعلى آله الأطيبين الأطهرين، سيّما علي أمير المؤمنين والصدّيقة الطاهرة سيدة نساء العالمين، والحسن والحسين سيدي شباب أهل الجنة، وعلي بن الحسين ومحمد بن علي وجعفر بن محمد وموسى بن جعفر وعلي بن موسى ومحمد بن علي، وعلي بن محمد والحسن بن علي والخلف القائم الهادي المهدي، حججك على عبادك وأمنائك في بلادك وصلّ على أئمة المسلمين وحماة المستضعفين وهداة المؤمنين وأستغفر الله لي ولكم.
أود أن أستعرض في الخطبة الثانية مسألتين باختصار, إحداهما: تتعلّق بالضجّة حول النشاط النووي، والثانية: بشأن مسألة القدس وفلسطين والمسيرة التي ستنطلق في يوم الجمعة القادم, والتي سيقوم بها الشعب الإيراني وبقية الشعوب بصلابة وقوّة.
أما فيما يتعلّق بالمسألة الأولى: فإن الضجّة التي افتعلها الأعداء غير منطقية، ويمكن التعرّف على الدوافع الأمريكية من وراء ذلك، فأقول باختصار: أنّ كل شيءٍ يمكنه إيصال شعب إلى الاستقلال والاقتدار الوطني الذاتي، لا يمكن أن يروق للقوى العظمى التي تريد احتكار العالم بأجمعه لنفسها بما فيه من المصادر المالية والثروات والأسواق التجارية.

هذه هي حقيقة النظام السلطوي، فهو عبارة عن سلسلة من الدول العظمى، ولكن من وراء هذه الدول تكمن الشركات والمؤسسات الاقتصادية والمالية التي تحدد السياسية المعاصرة.
فلو فرض مثلاً أنّ تلك الشركات ــ التي تخضع لها الإدارة الأمريكية الراهنة ــ أرادت التواجد بقوة في الشرق الأوسط؛ للاستيلاء على ثروة جديدة أو للحيلولة دون إفلاسها المحتمل، أو السيطرة على آبار النفط، أو الدفاع عن مصالح الرأسماليين الصهاينة أو الدويلة الصهيونية، فما عليها إلاّ أن تخطط لاجتياح العراق وإثارة حرب مدمّرة.
وعليه فكل بلد يحاول أن يقوم بما يساعد على استقلاله الوطني والتنمية الذاتية يتعرّض لغيضهم، وهكذا فإنهم مستعدّون لمنح التقنية للدول شريطة أن تكون تقنية تبعية، فيزوّدونها بالطائرات ولكن دون السماح لها بالتعرّف على قطعاتها، حتى إذا خرب جزءٌ منها بادر مهندس منهم إلى تبديلها وأخذ العاطل منها معه، كما كان هو الحال في عصر النظام البهلوي العميل.
كما أنهم قد يزوّدون نظاماً مثل النظام البهلوي بالطاقة الذرية, إذا لم تكن مصنعاً منتجاً؛ لأنه خاضع لأوامرهم، إلاّ أنه حينما تصل النوبة إلى الجمهورية الإسلامية يُضَنّون عليها حتى بهذا المقدار، وحينما تضطر الجمهورية الإسلامية عندها إلى السعي مع شبابها ومهندسيها وعلمائها ليلاً ونهاراً للوصول إلى إنتاج هذه الطاقة لا يروقهم ذلك، ويواجهونه بالاعتراض.

استقرار النظام الإسلامي يشكّل عقبة أمام أطماع المستكبرين
لاحظوا، فقد استقرّ نظام الجمهورية الإسلامية، وكانت القوى المتجبّرة تعلم أنّ هذا النظام يشكّل عقبة أمام تحقيق أطماعها؛ لأنه جاء بشيءٍ جديد على المستوى السياسي والعالمي، الأمر الذي زعزع صروحهم، وكانوا يعرفون ذلك جيداً، إلاّ أنهم كانوا يُمنّون أنفسهم بأن الجمهورية الإسلامية غير قادرة على البقاء، ففي عالم يحكمه التطور العلمي الذي من خلاله يتمّ الوصول إلى الرخاء المادي، حينما لا يكون البلد قد أصاب شيئاً من العلم، ولم يسمح له بأن يصيبه، وتعرّض فوق ذلك إلى الحظر الاقتصادي، فسوف يسقط تلقائياً، كالبرعم الذي تمنع عنه الماء والهواء فإنه سيذبل من تلقائه، دون حاجة إلى استئصاله.
وهكذا كان تصوّرهم بشأن الجمهورية الإسلامية؛ ولذلك كانوا يقولون في بداية انتصار الثورة: لم يبقَ لهذا النظام سوى شهرين وينهار، وبعدها قالوا: لم يبقَ له إلاّ سنة واحدة، ثم قالوا: خمس سنوات، وهكذا كانوا يمنّون أنفسهم، ولم يتوانوا عن محاصرتنا اقتصادياً وعلمياً وتقنياً، بالإضافة إلى فرض الحرب علينا، وتقديم كل ما بوسعهم من إسناد ودعم لصدام، كيما يعجّلوا في إسقاط نظامنا، إلاّ أنّ ما يشاهدونه حالياً بعد مضي ربع قرنٍ من الزمن هو أنّ الجمهورية الإسلامية قد خرجت من

تحت كل هذه الأنقاض التي صبّت عليها صبّاً وهي مرفوعة الرأس، واقفة على قدمٍ لها ثابتة، معتمدة على نفسها، واثقة بالمستقبل، وقد حصلت على تقدّم في المجال العلمي والتقني، هذه حقائق يدركونها.

ويدركون أننا في بعض المجالات المهمة والحساسة قد أحرزنا المراتب الأولى في العالم، فحالياً هناك عشرات الدول تستفيد من الطاقة النووية، بَيْدَ أنّ الدول التي يمكنها إنتاج هذه الطاقة ــ التي أثيرت حولها الضجّة الأخيرة بشأن إيران ــ معدودة جدّاً وربما لا تتجاوز العشرة وإيران منها.

وكذلك مسألة الأنسجة الجنينية التي ذكرتها مراراً ــ حيث تمكّن شبابنا المؤمن المتعبّد والثوري، من إنتاج هذه الأنسجة في مختبراتهم، وتكثيرها وتجميدها والاستفادة منها، ويصنعوا قلباً، أو يحقنوا القلب بها، أو يزرقوها في مخيخ العظم، فهذهِ من التقنيات المعقدة والمهمة في العالم، وقد انعقد قبل ثمانية أشهر اجتماعاً حضره العلماء الأجانب، ولم يصدّقوا الأمر، إلاّ أنهم حينما شاهدوا الحقيقة عن كثب، استولت عليهم الدهشة وانبهروا، وأذعنوا بعظمة الإنجاز، وقد أذاعت محطات التلفزة اعترافاتهم، لقد أصبحت إيران في عداد الدول العشرة الأولى في العالم.

وفيما يتعلق بالبنى التحتية، يتعيّن القول: أنه منذ إقامة أول سد في إيران إلى حين سقوط الطاغوت لم يكن عندنا سوى اثني عشر سدّاً، أقيم على يد المهندسين الأجانب، وكانت هذه السدود تعاني من مشاكل فنية جمّة.

في حين أنه قد تمّ التخطيط في عصر الثورة لأكثر من سبعين سدّاً، أنجز أكثرها، وهناك حالياً عشرات السدود الكبيرة والصغيرة، الأسمنتية والترابية قيد الإنشاء؛ وذلك بتقنية وطنية خالصة، وعلى يد المهندسين الإيرانيين، وكما جاء في تقرير رفع لي أنّ ذلك قد جعلنا في عداد الدول الخمس أو الست التي يمكنها صناعة السدود بهذه الكمية والكيفية.

وهكذا بالنسبة إلى التصنيع العسكري والصناعات الأخرى، وإنتاج البنى التحتية والثقافية، برغم الديدان التي يحاولون بثّها لتخريب ثقافتنا ونخرها من الداخل، إلاّ أنه ينبغي أن يعلم بأن ثقافتنا الأصيلة وفلسفتنا الإسلامية حالياً في حال تقدم مستمر على المستوى العالمي، حيث إنّ فلسفة صدر المتألهين قد بهرت أعين العالم وأثارت استحسانه.

ولهذا كله تجد العدو غائظاً، ويكيل التّهم علينا، ويتّهموننا بمحاولة اقتناء السلاح النووي، وقد قلت مراراً: أننا لسنا بحاجة إلى السلاح النووي، فإن سلاحنا النووي هو شعبنا, مضافاً إلى وجود الإشكالات الكثيرة في السلاح النووي تصنيعاً وحفظاً واستعمالاً، وقد بيّنا رأينا الشرعي في ذلك بوضوح، إلاّ أنّ المشكلة تكمن في أنهم حانقون على التقدم الذي أصابته إيران، وكما تعلمون أيضاً أنّ العدو يتأرّم حقداً وحنقاً حينما يشاهد وحدتنا الوطنية، يحاول القضاء على هذه الوحدة بشتى الطرق.

وإنّ العدو ليسوؤه أن يرى اتّفاق أنظار المسؤولين الكبار في المسائل الأساسية، فحينما يشاهدون رئيس الجمهورية ورئيس المجلس ورئيس السلطة القضائية وغيرهم من المسؤولين متّفقين حول مسألة من المسائل تراهم يتحرّقون غيظاً؛ ولذلك يحاولون بثّ الاختلاف والفرقة بشتىّ السبل.
وقد سمعتم في الآونة الأخيرة أنهم أثاروا مسألة السلطة المزدوجة: وقد تابعهم عدد من الحمقى في الداخل وأخذوا يجتّرون هذه المقالة، وتعني السلطة المزدوجة، أنّ القادة الكبار مختلفون في المسائل السياسية الأصولية والأساسية، وأنّ هناك خصومة بينهم بشأنها، وهو أمر بغيض ومهلك ومميت، إلاّ أنّ هذا مجرد شعار هم يرددونه، بديهي أنّ المسؤولين في كل بلد لا يتفقون في كل المسائل المختلفة، السياسات والأذواق المتنوّعة، إلاّ أنّ هذا غير ما يريدون إلقاؤه من اختلاف المسؤولين في الأصول العامّة، وحينما لا يحصل مثل ذلك يتألمّون.
يتألّمون أيضاً حينما يشاهدون المدراء المؤمنين الناشطين يدخلون ميادين العمل برغبة، ويديرون دفّة الأمور ويوجّهونها بما توجبه الأسس الإسلامية والمصالح الوطنية، كما يؤلمهم دعم الشعب للحكومة، ويؤلمهم أن يتمتع شبابنا بالروح الجهادية والإيمان، ويسوؤهم أن يشاهدوا حضور الشباب في المناسبات الدينية في مثل هذه الليالي التي يحييها الشباب من مختلف الطبقات إحياءً لليلة القدر، فتترشح دموعهم وتلين قلوبهم، فإن تمّ عرضها، سيستولي على صدور الأعداء كَمَدٌ وغمٌّ عميق.
إنّ شعبنا واعٍ ولله الحمد، وعليه أن يعي أنّ الأعداء لا يريدون الاستقرار السياسي في بلادنا, ويحاولون إثارة الفتن والنزاعات في مختلف الأوساط الجامعية والسياسية والإدارية وحتى في الأوساط العمالية والتجارية، فعليكم جميعاً أن تحذروا وسيكون التقدّم حليفنا.

القضية الفلسطينية والتاريخ
المسألة الثانية: مسألة فلسطين.
إنّ المسيرة التي ستقومون بها إن شاء الله مهمة جدّاً، ولا ينبغي التهاون فيها، هناك ثلاث أمور في القضية الفلسطينية سيكتب لها الخلود في التاريخ:
الأول: الإجرام والظلم الصهيوني تجاه الشعب الفلسطيني، فتجد الشاب الفلسطيني رازحاً تحت العذاب والمصائب، الأمر الذي تجده يستعذب الموت والتضحية بنفسه ليحدث جرحاً في مغتصب أرضه ويذهب شهيداً، فيبادر العدو الصهيوني إلى هدم داره ودار أسرته، ويعرّضون أهله وذويه إلى التعذيب والإيذاء، ويقتحمون المدن والمخيّمات بدباباتهم ويداهمون البيوت ويجرفونها ويجرفون المزارع ويقتلون البشر من الصغار والكبار والشيوخ والنساء والعزّل، وقد أضحى ذلك عملاً يومياً، وهذه العملية تعد مصيبة تاريخية، وسيخلّدها التاريخ.

الثاني: الصبر والاستقامة الأسطورية التي يسطّرها الشعب الفلسطيني المحاصر، والذي يحيط العدو به من جميع أطرافه، إلاّ أنه يقاوم ويتحمّل الجوع وفَقْد الأبناء والشباب وهدم البيوت وتجريف المزارع، ويتحمّلون البطالة، وهناك حالياً عدة ملايين فلسطيني ــ وليس كلهم من الأحزاب والحركات ــ يشكّلون شعباً كاملاً يقاوم باستقامة، طوبى لهذا الشعب المقاوم, وإن مقاومته هذه سيخلّدها التاريخ أيضاً.

الثالث: سكوت الدول والمجتمعات الدولية.

إنّ السادة الأوربيين الذين يذوبون عشقاً لحقوق الإنسان يشاهدون هذه الحوادث بأم أعينهم فلا يطرف لهم جفن ولا يتحرك لهم ساكن، بل غالباً ما يقفون إلى جانب الظالم, وإنّ هذا المدهش حقّاً!

وأما أميركا فحسابها على حدة؛ لأنها شريكة في الجريمة، فقد خاضت يدها في دماء الفلسطينيين حتى المرفق، ولو تشكلت محكمة للحكم بشأن هذه الجريمة لم يكن المتهم فيها الصهاينة وشارون فحسب، بل ستكون أمريكا وبوش ومن لفّ لفّه من الحكومات الأمريكية في قفص الاتهام أيضاً.

إلاّ أنّ المسألة هي مسألة المجتمعات الدولية ومنظمة الأمم والدول الأوربية التي تتذرّع دائماً بحقوق الإنسان، دون أن تفهم أولياتها أو تحترمها.

وطبعاً هذه هي مسألة الدول الأخرى أيضاً، فإن سكوت الدول الإسلامية أشد إثارة للدهشة!

ومع كل هذا ماذا يتعيّن على الشعوب فعله؟ يمكنهم الخروج في يوم القدس العالمي، ويحكمون قبضاتهم ويأكّدوا للشعب الفلسطيني المقاوم بأنهم لن يتخلّوا عنه برغم معارضة الدول أو عجزها؛ فإن ذلك سيعينهم ويساعدهم على مواصلة الدرب.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿والعصر* إن الإنسان لفي خسر *إلاّ الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر﴾

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته